الانتحار في الحكايات الشعبية الموصلية
حكاية لعبة الصبر انموذجا

أ.م.د. نجلاء عادل جامد
كلية الآداب / قسم علم الاجتماع

البريد الإلكتروني Email : najlaa.a.h@uomosul.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الحكايات الشعبية ، الموصل ، الانتحار ، حكاية (لعبة الصبر) .

كيفية اقتباس البحث
جامد، نجلاء عادل ، الانتحار في الحكايات الشعبية الموصلية – حكاية لعبة الصبر انموذجا ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الثاني ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:١١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Suicide in Mousili Folklour Tales
Tale of Patimce Gawe as a Model

Asst. Prof. Dr. Naglaa Adel Jamid
College of Arts / Department of Sociology

Keywords: Folk tales, Mosul, suicide, The Game of Patience .

How To Cite This Article
Jamid, Naglaa Adel, Suicide in Mousili Folklour TalesTale of Patimce Gawe as a Model,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, November2026,Volume:16,Issue 11.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This study examines the topic of suicide in Mosuli folk tales, taking the tale of "The Game of Patience" as a model for research and analysis. The study seeks to understand how suicide is portrayed in this type of folk literature and the symbolic meanings it carries that reflect the values of society

The research adopts a descriptive–analytical approach through analyzing the elements of the selected tale, namely "The Game of Patience", by understanding its events, examining the psychological and social structure of its characters, and exploring the social reality surrounding the events of the tale, which represents the lived reality of the heroine

The results of the analysis show that suicide in the tale is presented as the outcome of accumulated psychological pressures and social suffering. It is often surrounded by meanings that reflect the values and ideals promoted by society, particularly the values of patience, endurance, and the clear rejection of surrender and despair. The tale also reveals a strong presence of the idea of reward for patience and relief after hardship

The study concludes that Mosuli folk tales, including “The Game of Patience,” contribute to shaping a rejecting attitude toward suicide by presenting it within a framework that balances pressure and suffering with the promise of happy endings, while emphasizing the punishment of wrongdoers and the reward of kind and virtuous people

الملخص

نتناول في بحثنا هذا موضوع الانتحار في الحكايات الشعبية الموصلية وأتخذنا من حكاية "لعبة الصبر" أنموذجًا للبحث والتحليل. ونسعى من خلاله الى فهم كيفية تصوير الانتحار في هذا النوع من الأدب الشعبي، وما يحمله من دلالات رمزية تعكس قيم المجتمع .

يعتمد البحث على المنهج الوصفي – التحليلي ، من خلال تفكيك عناصر الحكاية التي أتخذناها إنموذجا للدراسة وهي حكاية (لعبة الصبير) وذلك من خلال فهم أحداثها وتحليل البناء النفسي والاجتماعي لشخصياتها وأستقراء الواقع الاجتماعي المحيط بأحداث الحكاية والذي يشكل الواقع المعاش لبطلة حكايتنا .

وتُظهر نتائج التحليل أن الانتحار في الحكاية يُقدَّم بوصفه نتاج لتراكم الضغوط النفسية والمعاناة الاجتماعية، وغالبًا ما يُحاط بدلالات تعكس القيم والمثل التي يحث عليها المجتمع والمتمثلة بقيم الصبر والتحمل والرفض الواضح للأستسلام واليأس كما تكشف الحكاية عن حضور قوي لفكرة المكافئة على الصبر والفرج بعد الضغوط .

ويخلص البحث إلى أن الحكايات الشعبية الموصلية، ومنها "لعبة الصبر"، تُسهم في تشكيل موقف رفض لفكرة الانتحار، من خلال تقديمه في إطار يوازن بين الضوط و المعاناة والتبشير بالنهايات السعيدة والتي تحرص على معاقبة المسيء ومكافئة الانسان الطيب .

المقدمة

تُعدّ الحكايات الشعبية مرآةً يعكس من خلالها المجتمع قيمه الاجتماعية ورموزه الثقافية ، إذ تضم في ثناياها تجارب معاشة تعبّر عن طموحات أفراد ذلك المجتمع وتطلعاتهم. وفي المجتمع الموصلي، حضور قوي للحكاية الشعبية بوصفها وسيلة ترفيهية وتعليمية في نفس الوقت بالإضافة الى دورها الواضح في نقل التراث الشفاهي للمجتمع الموصلي وتشكيل الذاكرة الجماعية والتي تتناقل عبر الأجيال. ومن بين الموضوعات التي تطرقت إليها هذه الحكايات، موضوع الانتحار بوصفه واقعة محدودة الحدوث ومعقدة في نفس الوقت ترتبط بعوامل نفسية واجتماعية متعددة.

وتأتي حكاية "لعبة الصبر" بوصفها نموذجًا دالًا يعكس الصراع الواضح للانسان مع الألم النفسية والضغوط، الاجتماعية ومُجسّدة في ذات الوقت قيم الصبروالتضحية والظفر بعد المعاناة ضمن سياق سردي بطرح درامي يشد المستمع والقارىء ويجعله يتداخل بأنفعالاته مع احداث الحكاية . ومن خلال قراءة وتحليل أحداث هذه الحكاية، يمكن الوقوف على الكيفية التي عالج بها المجتمع الموصلّي موضوع الانتحار، بوصفها فعلًا مرفوضا يرمز للاحتجاج أو الهروب من واقع مأساوي شكل عقدة مستحيلة الحل من وجهة نظر والأمكانيات المحددوة لبطلة الحكاية ، ولكن احداث الحكاية ورموزها القدرية لاتقف موقف المتفرج بل تقدم الحلول بعد وصول أحداث الحكاية الى الحبكة ، لتبهر بطلة الحكاية والقارىء او المستمع بعدالة السماء التي ترفض الظلم للانسان الطيب المسالم .

تضمن البحث أربع مباحث : أشتمل المبحث الاول على الاطار العام للبحث من مشكلة وأهمية وأهداف ومنهج ومفاهيم تتعلق بالبحث .

في حين جاء المبحث الثاني بعنوان الانتحار بين التفسير السوسيولوجي وتمثلاته في الحكاية الشعبية .

أما المبحث الثالث فعرضنا فيه نص حكاية (لعبة الصبر) ، ليأتي المبحث الرابع ليجسد تجليات الانتحار ودلالاته النفسية والاجتماعية في هذه الحكاية ، وختم البحث بخاتمة ولعرض لأهم النتائج والتوصيات والمقترحات .

المبحث الأول

الإطار العام للبحث

أولاً: مشكلة البحث

تشتمل الحكايات الشعبية على رموز ودلالات أجتماعية وثقافية تعكس واقعا اجتماعيا وتجارب حياتية ومعاناة نفسية وطموحات وآمال أفراد المجتمع الصانع لهذه الحكايات . ومن ضمن القضايا التي عالجتها الحكايات الشعبية مشكلة الانتحار ، والتي تعد في نفس الوقت مشكلة بحثناوالتي تمثلت في معالجة موضوع الانتحار في الحكايات الشعبية الموصلية .

ويمكننا تحديد مشكلة البحث في تساؤلات ومنها:

كيف صورت لنا الحكاية الشعبية الموصلية ولا سيما حكاية "لعبة الصبر"، فعل الانتحار؟ ما الدوافع النفسية والضغوط الاجتماعية التي تُحيط الشخصية التي تقدم على الانتحار؟ كيف عكست الحكاية الشعبية الموصلية الصراع بين المعاناة واليأس و الصبر والظفر؟ وكيف يصور الانتحار كفعل مأساوي أم بطولي أم احتجاجي؟ وما الحلول والرسائل

الاخلاقية التي يسعى هذا النوع من السرد إلى إيصالها للمجتمع؟ ما دور الحكاية الشعبية الموصلية في تشكيل الموقف المجتمعي الرافض لهذه الظاهرة؟

ثانيا":- أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في عدة جوانب:

١. الأهمية النظرية

يسهم البحث في إضافة دراسات تتناول القضايا المجتمعية الحساسة كموضوع الانتحار ، بطريقة جديدة تجمع بين حكمة الأدب الشعبي والتحليل النفسي والاجتماعي، لنسليط الضوء على موضوع لم يُتناول بشكل كافٍ في البيئة الموصلية مما يسهم في إثراء الدراسات في مجال الفولكلور وعلم الاجتماع الثقافي وعلم النفس الاجتماعي. .

٢. الأهمية التطبيقية

يقدم البحث فهم اوسع للأبعاد النفسية والاجتماعية المرتبطة بظاهرة الانتحار من خلال الأدب الشعبي ، مما يساعد المختصين في مجالات علم النفس والاجتماع والتربية، في فهم الخلفيات الثقافية التي تؤثر في سلوك الأفراد واتجاهاتهم وبالتالي توفير قاعدة معرفية يمكن أن تساعد الباحثين في مجالات الثقافة والصحة النفسية.

ثالثاً: أهداف البحث

مع التركيز على حكاية "لعبة الصبر" كنموذج تحليلي.تهدف هذه الدراسة إلى :-

١-استكشاف دلالات الانتحار في الحكايات الشعبية الموصلية،

٢-للكشف عن الدوافع النفسية والاجتماعية والثقافية المرتبطة بهذه الظاهرة في الحكايات الشعبية الموصلية .

٣-تحليل صور الانتحار في الحكايات الشعبية الموصلية.

رابعا:- منهجية البحث وخطوات التحليل

بأعتماد الحكايات الشعبية الموصلية بوصفها جزءًا من التراث الشفاهي المحلي، و اختيار حكاية "لعبة الصبر" لكونها تتضمن إشارات واضحة إلى الصراع النفسي المرتبط باليأس والصبر، وما يمكن أن يقود إليه من تفكير بالانتحار فكان المنهج الوصفي – التحليلي، هو الأنسب للغاية والمتمثلة بدراسة وتحليل الظواهر الأدبية والثقافية في سياقها الاجتماعي والنفسي، حيث يتيح هذا المنهج وصف حكاية "لعبة الصبر" وصفًا دقيقًا، ثم تحليل مضامينها للكشف عن دلالات الانتحار فيها.

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2026 Volume :16 Issue : 11
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

ولقد تم إجراء التحليل وفق الخطوات الآتية:

عرض لنص الحكاية ومن ثم الوقوف على الضغوط الاجتماعية والنفسية لنتمكن من تشخيص سلوك الشخصيات في لحظات اليأس أو الانهيار ، وبناءا عليه يتم تفسير الرموز المرتبطة بالصبر والانتحار، وصولا الى استنتاج الرسائل الأخلاقية والاجتماعية التي تقدمها الحكاية.

خامسا:- مفاهيم البحث :-

١-الحكاية الشعبية

من الناحية اللغوية، ترتبط كلمة الحكاية بالفعل (حكى)، أي قلد وماثل وشابه، وهو ما يدل على أن الحكاية تقوم على محاكاة الواقع أو إعادة تصويره بصورة فنية أو خيالية. فالحكاية ليست مجرد سرد للأحداث، بل هي إعادة تشكيل للواقع الاجتماعي والإنساني وفق رؤية الجماعة الشعبية وخيالها الجمعي [١]. وقد أشار ابن منظور إلى أن الحكاية تعني الإتيان بمثل الشيء أو نقله وتمثيله، وهو ما يمنح الحكاية وظيفة تصويرية وتعبيرية تسعى إلى تجسيد الواقع وإعادة إنتاجه بلغة رمزية مؤثرة [٢].

وتندرج الحكاية الشعبية ضمن إطار "الفولكلور" أو الأدب الشعبي، وهو المصطلح الذي يتألف من كلمتين إنكليزيتين هما Folk بمعنى الشعب، وLore بمعنى المعرفة أو الحكمة، ليصبح المعنى الكلي "حكمة الشعب" أو "معارفه" [٣]. ويشمل الفولكلور أنماط التعبير الشعبي المختلفة، مثل العادات والتقاليد والأمثال والأغاني والأساطير والحكايات والألغاز، التي تتناقلها الجماعات البشرية شفاهاً عبر الأجيال [٤].

وتُعرف الحكاية الشعبية بأنها شكل سردي تقليدي مجهول المؤلف غالباً، ينتقل شفوياً داخل المجتمع، ويعبّر عن تجارب الناس وقيمهم ومخاوفهم وآمالهم، كما يجسد رؤيتهم للحياة والوجود، وهي ليست نتاج فرد واحد بقدر ما هي نتاج جماعي ساهمت البيئة الاجتماعية والثقافية في تشكيله وتطويره عبر الزمن، لذلك تمتاز بالتغيير والإضافة والحذف تبعاً لاختلاف البيئات والعصور [٥].

كما تُعد الحكاية الشعبية وسيلة تربوية واجتماعية تؤدي وظائف متعددة، من أبرزها التوجيه والإصلاح وتقويم السلوك، فضلاً عن تحقيق المتعة والتسلية. فهي تحمل في بنيتها قيماً أخلاقية واجتماعية تعكس فلسفة المجتمع الشعبي في تفسير الظواهر الإنسانية المختلفة [٦]، ومنها قضايا الألم والمعاناة والموت والانتحار. ومن هنا فإن دراسة الحكايات الشعبية تُسهم في الكشف عن البنية الفكرية والنفسية للمجتمع، وما يتضمنه من تصورات تجاه القضايا الاجتماعية الحساسة.

وفي إطار هذا البحث الموسوم بـ"الانتحار في الحكايات الشعبية الموصلية"، تبرز أهمية الحكاية الشعبية بوصفها وعاءً ثقافياً يعكس مواقف المجتمع الموصلي من ظاهرة الانتحار، وما يرتبط بها من دوافع نفسية واجتماعية وأخلاقية. فالحكايات الشعبية الموصلية لا تنقل الأحداث بوصفها وقائع سردية فحسب، بل تعبّر عن رؤية المجتمع تجاه مفاهيم الشرف والحب واليأس والظلم والحرمان، وهي مفاهيم ترتبط بصورة مباشرة أو غير مباشرة بسلوك الانتحار في بعض الحكايات الشعبية.

وعليه، يمكن تعريف الحكاية الشعبية إجرائياً بأنها: نتاج سردي شفاهي متوارث، مجهول المؤلف غالباً، يعبر عن خبرات المجتمع وقيمه وثقافته، وينتقل عبر الأجيال حاملاً مضامين اجتماعية ونفسية وأخلاقية، تُسهم في تفسير الظواهر الإنسانية وتجسيدها ضمن إطار رمزي وشعبي.

٢-الانتحار

الانتحار لغة مشتق من الفعل "نحر" ، "والنحر : الذبح في اللبة . ونحر الرجل نفسه أي قتلها"[٧]. كما جاء عند الفيروز آبادي في القاموس المحيط : " نحره ينحره نحرا : ذبحه " . ومنه أشتق مفهوم الانتحار بمعنى قتل الانسان نفسه[٨] .

أما التعريف الاصطلاحي للانتحار :- فأنه قتل الشخص نفسه عمداً. وعرفه إميل دوركايم بأنه: "كل حالة وفاة تنتج بشكل مباشر أو غير مباشر من فعل إيجابي أو سلبي من جانب الضحية نفسها، لأنه يعرف أن هذا الفعل سوف يؤدي إلى هذه النتيجة". وقد اختلف الباحثون فيما إذا كان دوركايم قد اشترط أن يكون الموت على أساس أنه من الصعب معرفة نوايا الشخص. وهكذا نجد أنه وسّع تعريفه بحيث جعله يشمل على سبيل المثال الموت بسبب الأفعال البطولية، حيث لا توجد فرصة للنجاة، ولكن لا يوجد نية واضحة ومؤكدة لقتل الشخص نفسه [٩].

يقصد بالانتحار إجرائيا : الفعل الذي تقوم به الشخصية الحكائية لاسيما في حكاية لعبة الصبر بقصد أنهاء حياتها ، ويتضمن هذا الفعل دلالات رمزية تعكس مؤثرات نفسية أو عاطفية بالاضافة الى ضغوط البيئة الاجتماعية ، وطبيعة المجتمع ونظرته الى الالم والخسارة واليأس، ليدرس الانتحار في هذا البحث باعتباره فعل له مدلولات اجتماعية وثقافية تتداخل فيه قيم المجتمع وعاداته التي تشكل المحرك الاساس للأحداث في السرد الحكائي .

المبحث الثاني

الانتحار بين التفسير السوسيولوجي وتمثلاته في الحكايات الشعبية

يُعدّ الانتحار من الظواهر الإنسانية والاجتماعية المعقدة التي شغلت اهتمام علماء الاجتماع والنفس والفلاسفة والأدباء، لما يحمله من أبعاد نفسية وثقافية واجتماعية متشابكة. فالانتحار سلوك يتسم بالسلبية والعدوانية في آنٍ واحد، إذ يلجأ إليه الفرد بوصفه وسيلة للتخلص من أزمات وضغوط قاسية رافقته في حياته اليومية، كما يرتبط بطبيعة العلاقات الاجتماعية التي تجمعه بالآخرين داخل المجتمع. ومحاولة الانتحار لا تعبّر فقط عن رغبة في تدمير الذات، بل قد تحمل في طياتها بعداً احتجاجياً موجهاً نحو المجتمع والأسرة، لما تخلّفه من حزن وألم وندم لدى المحيطين بالفرد المنتحر [١٠].

ومن هذا المنطلق، لم تعد دراسة الانتحار مقتصرة على الجانب الفردي أو النفسي فحسب، بل اتجهت الدراسات الحديثة إلى ربطه بالبنية الاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان.

وقد ساهم علماء الاجتماع، وفي مقدمتهم عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركهايم، في تحويل الانتحار من قضية أخلاقية أو فلسفية إلى موضوع علمي قابل للتحليل والدراسة. ففي كتابه الانتحار الصادر سنة ١٨٩٧، بيّن دوركهايم أن الانتحار ظاهرة اجتماعية ترتبط بدرجة اندماج الفرد داخل المجتمع، وأن لكل مجتمع ميلاً جماعياً نحو الانتحار يتجلى من خلال معدلاته المختلفة [١١].

وقد ميز دوركايم بين ثلاثة أنماط رئيسة للانتحار تبعاً للسبب الدافع إليه. فنمطا الانتحار الإيثاري والأناني يرجعان إلى علاقات الفرد والأهداف الاجتماعية. ففي حالة الانتحار الإيثاري تكون درجة تكامل الفرد في المجتمع أعلى مما ينبغي، وهذا المجتمع يشجعه، بل إنه قد يطلب من الفرد التضحية بحياته. ويحدث هذا عندما يتوقع من الزوجة التي يموت عنها زوجها أن تقدم على الانتحار. أما الانتحار الأناني فهو، على العكس من ذلك، يشير إلى ضعف درجة تكامل الفرد في المجتمع وعدم خضوعه للقوى الجمعية التي تمنع الانتحار، بل إنه في الواقع يعاني من الفراغ الذي يؤدي إلى هذا الانتحار أو يحفز إليه.

وهناك أخيراً الانتحار الأنومي – أو اللامعياري – الذي يرجع إلى التنظيم الاجتماعي لرغبات الفرد وطموحاته، فحين تزداد درجة اللامعيارية (أو فقدان المعايير) في المجتمع تزداد عواطف الأفراد، وطموحاتهم، ورغباتهم إلى الحد الذي يعجزون فيه عن إشباعها [١٢]..

وتُفيد هذه التصنيفات في قراءة الحكايات الشعبية وتحليل أفعال شخصياتها، لأن الحكاية الشعبية لا تنفصل عن البيئة الاجتماعية التي نشأت فيها، بل تعبّر عن منظومة القيم والمخاوف والتوترات الكامنة في وجدان المجتمع ، وقد شكّلت هذه التصنيفات أساساً مهماً لفهم الظاهرة بوصفها نتاجاً لعوامل اجتماعية وثقافية تتجاوز التفسير النفسي الفردي.

وقد تعرضت نظرية دوركهايم لاحقاً إلى جملة من المراجعات والنقد، ولا سيما من قبل هالبواش (Halbwachs) الذي رأى أن دراسة الانتحار لا يمكن أن تقتصر على الإحصاءات الرسمية وحدها، بل ينبغي أن تشمل تحليل الدوافع والسياقات الاجتماعية والثقافية التي تؤدي إلى الفعل الانتحاري. كما أشار إلى أهمية التمييز بين الانتحار المكتمل ومحاولات الانتحار، لأن لكل منهما دلالات اجتماعية مختلفة [١٣].

ومن هنا فإن فهم الانتحار داخل الحكايات الشعبية لا يعتمد على رصد الحدث وحده، بل يتطلب الكشف عن الرموز والدلالات والقيم التي تحيط به داخل البنية الحكائية وفي الحكايات الشعبية يظهر الانتحار بوصفه فعلاً درامياً يرتبط غالباً بالشرف أو الحب أو الظلم الاجتماعي أو اليأس من الواقع، وهو ما يتجلى بصورة واضحة في حكاية "لعبة الصبر". فالحكاية الشعبية لا تقدّم فعل الانتحار بوصفه حادثة فردية معزولة، وإنما بوصفه نتيجة لصراع نفسي واجتماعي طويل، تتداخل فيه سلطة المجتمع والعائلة والعادات مع المشاعر الفردية للشخصية الحكائية. ومن ثم فإن الانتحار في هذه الحكايات يمثّل تعبيراً عن الاختناق الاجتماعي وفقدان القدرة على التكيف مع الواقع.

كما يمكن فهم حضور الانتحار في الحكاية الشعبية من خلال :- مفهوم "الانتشار الثقافي والانتشارية "، أي انتقال الأفكار والرموز والأنماط السردية بين المجتمعات عبر الاحتكاك والتواصل الحضاري[١٤]. . فالكثير من صور الانتحار التراجيدي الموجودة في الحكايات الشعبية العربية والعالمية انتقلت بين الثقافات عبر التفاعل الحضاري، ثم أعادت كل بيئة تشكيلها بما يتناسب مع قيمها المحلية. ولهذا يمكن النظر إلى حكاية "لعبة الصبر" بوصفها نموذجاً محلياً يحمل أبعاداً إنسانية عامة، لكنها اكتسبت خصوصيتها من البيئة الموصلية وما تحمله من قيم اجتماعية وأخلاقية خاصة

المبحث الثالث

نص حكاية (لعبة الصبر)[١٥]

كان الربيع يزهو في البراري بألوان زهوره الحمراء والصفراء والبنفسجية والبيضاء. رغبت الابنة المدللة بالخروج إلى البرية فأعدت الأم طعام الغداء وحرصت أن تكون فيه (الدولمة)

و(الكباب) مع أطعمة أخرى، ودعت أهلها وأصدقاءها واصطحبت أولادها وخرجت إلى البرية فوجدوها تزهر بالناس كما تزهر بالورود الملونة. تجولوا كثيرًا وضحكوا كثيرًا وأكلوا كثيرًا، وفجأة أدلهمت السماء وأنذرت بعاصفة قوية، فأسرع جميع المرتعين إلى حوانيتهم يجمعونها وأولادهم ينسادون عليهم استعدادًا للعودة إلى الدار. فرح الوالد كثيرًا، فتنقلب بين الصحو والمطر والإشراق والإعصار، وعلى حين هبت العاصفة وأحدثت دوامات عدة لم يعهد لها مثيل في المدينة، بكى الأطفال وتصايحت النساء خائفات مرتعبات. وافتقدت الأم ابنتها المدللة فوجدتها وسط دوامة الإعصار، حاولت أن تنقذها من الدوامة فلم تستطع، وما لبثت الدوامة أن أخذتها من بين أحضانها وذهبت بها بعيدًا وسط بكاء الأم وذعرها وخوف الابنة المدللة.

وما لبثت الدوامة أن توقفت بالفتاة عند باب قصر عظيم يقوم وحده شامخًا في الفلاة، فإذا بالباب يُفتح، دخلت الفتاة إلى القصر ودهشت إذ رأت الباب يغلق من نفسه. تملّكها الرعب في بادئ الأمر، ولكن ما لبثت الدهشة أن تملّكتها لعظمة القصر وجمال أثاثه وزخارفه. وجدت كل شيء مرتبًا نظيفًا لكنها لم تعثر على أي مخلوق فيه.

وبعد أن طافت بجميع غرف القصر وأركانه وجدت غرفة موصدة تملكها الفضول فدفعت الباب، وما كان أعظم دهشتها حينما وجدت شابًا جميلًا ممددًا في نومه، والعرق يسيل على وجهه مدرارًا وكأنه في فرن، وإلى جانبه مروحة مرصعة باللآلئ والأحجار الكريمة، فأشفقت عليه، وأخذت المروحة وراحت تحركها أمام وجهه لتخفف عنه ما يحسه من حرارة شديدة في نومه.

مضت الأيام والأشهر والسنون وهي على حالها لجد كل شيء، فصمد الطعام يُقدَّم إليها فإذا ما انتهت منه رفعت المائدة من أمامها. كل ما في القصر ينظف ويرتب ويوضع في مكانه المناسب، وهي تروح بمروحتها للرجل النائم المحرور.

لم تكن تحسب للزمن حسابًا فقد تساوى لديها الليل والنهار والصيف والشتاء، ولا عمل لها غير الترويح بمروحتها للرجل النائم، فإذا ما خفَّت حرارته استراحت قليلًا وإذا ما عاد للتصبب عادت للترويح له.

كان قد مضى عليها وهي في هذه الحال سبع سنوات كاملة، صعدت ذات يوم إلى السطح لتروح عن نفسها، فرأت قافلة تمر قريبًا من القصر، استبشرت خيرًا وسعدت لرأي البشر الذين لم ترهم منذ سبع سنوات خلت، وودّت لو حصلت منهم على من يؤنسها في وحدتها فسألت رجال القافلة:– هل معكم جارية ترمون بها؟!

كانت معهم فتاة شوهاء الخلقة عرجاء لا نفع فيها، تشاوروا فيما بينهم وقد عزموا التخلص منها، ولكنهم طلبوا ثمنًا باهظًا لها، رأوا من فخامة القصر وعظمته، فوافقت على شرائها بالثمن الذي حدّدوه، ورمت لهم كيس النقود، وأت بحبل غليظ شدّت به الفتاة الشوهاء وساعدها رجال القافلة في توصيلها إلى السطح، بعد أن عجزوا عن فتح الباب أو كسره. وسرعان ما أدخلتها إلى الحمام ونظّفتها من القمل والأوساخ العالقة بها، وأعدّت لها ثيابًا جميلة وجديدة، وراحت تعنى بها وتعلمها الكلام وأصبحت لها خير أنيس وقد تبدّلت وحشتها وبدل ضيقها أمنًا وفرحًا.

ذات يوم أرادت الفتاة المدللة أن تستحم، فدخلت الحمام، ورأت الفتاة الشوهاء أن الرجل النائم يفيض عرقًا، فأخذت المروحة اللؤلؤية ووقفت تروح له، وفجأة عطس الرجل النائم فقالت الفتاة الشوهاء:– يرحمكم الله.

وما لبث الرجل النائم أن استيقظ وفتح عينيه، وما إن رأى الفتاة الشوهاء تروح له حتى بادرها سائلًا:

– هل روّحتِ لي طوال هذه السنين؟

أجابته: نعم.

قال لها: سأتزوجك أيتها الفتاة المخلصة، لقد أعادت الحياة لي من جديد، فلولا ترويحك لي لمت من زمن طويل.

وما إن خرجت الفتاة المدللة من الحمام حتى بادرتها الفتاة الشوهاء سعيدة ضاحكة:

– استيقظ سيدي وسيتزوجني.

فوجئت الفتاة المدللة وذهبت إلى غرفة الرجل النائم فرأته قد استيقظ فعلًا وعلى أتم ما يكون صحةً وجمالًا، وسأل الفتاة الشوهاء عنها فأخبرته بأنها خادمتها. سكتت الفتاة المدللة على مضض، وصبرت على البلاء التي أصابتها، وأسرت في نفسها خيانة الشوهاء لها وكيف قابلت إحسانها بنكران الجميل.

أُعلنت الأفراح بزواج سيد القصر وأقيمت الزينات وتوافد المدعوون وامتدت الموائد، والفتاة المدللة تعمل في الدار كما يعمل الخدم.

وبعد انتهاء الأفراح لاذت بالصمت وصبرت على الهوان الذي وقع عليها من سيدة القصر – خادمتها السابقة – وقد أذاقتها صنوف التعذيب والإهانة.

وذات يوم أعلن سيد القصر عن قيامه برحلة تجارية، وسأل الخادمة – الفتاة المدللة – عن طلب لها يأتيها بهدية، فطلبت إليه أن يأتيها بلعبة الصبر.

مضت الأيام والأشهر وعاد السيد محمّلًا بالأموال والسلع والجواهر، وأغرق زوجته الشوهاء بالهدايا وبكل ما خف حمله وغلا ثمنه، وقدم للخادمة طلبها لعبة الصبر، وكان البائع قد حذره من هذه اللعبة وأخبره بأنها إذا ما حزنت كبرها تنفجر وتقتل صاحبها؛ فتعجب سيد القصر للأمر، وعجب أكثر من طلب خادمته لهذه اللعبة الخطرة.

أخذت الفتاة المدللة اللعبة بفرحة كبيرة وذهبت بها إلى غرفتها، وفي هدوء الليل بعد أن هدأ القصر ونام أهله، وضعت لعبة الصبر أمامها وراحت تحدثها قائلة:

– لعبة الصبر، أنا صبر وأنت صبر، كيف يصبر قلبي على المصائب؟

وإذا بلعبة الصبر تنتفخ وتنتفخ، فإذا ما سكتت مخاطبتها عادت إلى حجمها الطبيعي، وكان سيد القصر يراقب الفتاة ولعبتها وهو مندهش أشد الاندهاش، وكلما سأل زوجته عن أمر الفتاة أجابته بأنها اشتريتها من قافلة كانت مارة قرب القصر فيلوذ بالصمت وهو على أشد ما يكون عجبًا واندهاشًا.

استمرت الفتاة على مخاطبة لعبتها وسيد القصر يراقبها، وذات ليلة قصّت الفتاة قصتها كاملة على لعبتها وسيد القصر ينصت وراحت تناديها:– لعبة الصبر، أنا صبر، وأنت صبر، كيف يصبر قلبي على المصائب؟

واللعبة تنتفخ وتنتفخ، فأحسّ سيد القصر بالخطر الذي يهدد الفتاة من انفجار اللعبة، فأسرع داخلًا إلى الغرفة وأخرج الفتاة منها عندما انفجرت اللعبة وخرج منها سكاكين حادة بعثرت في أرجاء الغرفة وحطمت كل ما أصابته من أثاث وأوانٍ ورياش. وعلم سيد القصر بالأمر، وأمر بقتل الفتاة الشوهاء الخائنة، وتزوج الفتاة المدللة وقال لها:– منك صرت ومنك عشت ولولاك لكنت في عداد الموتى الآن. وعاشا في سعادة غامرة وأنجبا العديد من الأولاد.

المبحث الرابع

تجليات الانتحار ودلالاته النفسية والاجتماعية في حكاية (لعبة الصبر) الشعبية الموصلية

يمكن قراءة هذه الحكاية الشعبية ضمن إطار بحث "الانتحار في الحكايات الشعبية الموصلية – حكاية لعبة الصبر أنموذجًا" بوصفها نصًا رمزيًا لا يقدّم الانتحار كفعل مباشر فقط، بل كـ بنية نفسية وثقافية تتجلى عبر "الصبر المدمّر" الذي يتحول في لحظة ما إلى طاقة قاتلة.

أولًا: "الانتحار في الحكاية رمزيًا"بمعنى لايتم قتل النفس مباشرة ولا يظهر الانتحار بشكل صريح ولكنه يتجسد في صورة رغبة كامنة في الفناء نتيجة تراكم القهر: فالفتاة المدللة تعيش سبع سنوات من العزلة القسرية والانفصال التام عن المجتمع ، ثم تعاني الظلم الاجتماعي الذي

يغير دورها الاجتماعي من منقذة إلى خادمة وأخيرًا تتعرض لـ الخيانة الأخلاقية من الفتاة الشوهاء. هذه التراكمات تؤدي إلى حالة يمكن تسميتها: "الانفجار النفسي".

ثانيًا: أداة انتحارية رمزية تتمثل ب "لعبة الصبر" أهم عنصر في النص السردي ، الصبر يظهر في الحكاية بوصفه قيمة مزدوجة نابعة من معطيات الثقافة الشعبية الموصلية: ، فالصبر رغم كونه فضيلة أخلاقية ، لكنه في الحكاية يتحول إلى عبء نفسي قاتل.

أما عن آلية لعبة الصبر فكلما عبّرت الفتاة عن حزنها تنتفخ اللعبة وعند الذروة تنفجر وتقتل ، هذا يعكس معادلة نفسية دقيقة: الكبت المستمر طريق غير مباشر نحو الموت. متمثل بالانتحار غير المباشر عن طريق طلب الفتاة لهذه اللعبة رغم خطورتها وهذا يشير إلى وعي ضمني بالخطر وربما رغبة لا واعية في إنهاء المعاناة وهذا يعد سلوك شبه الانتحاري

ثالثًا: البعد النفسي شخصية البطلة يقرأ وفق ثلاث مستويات وهي:

١.العزلة التامة عن المجتمع وفقدان الاحساس بالحياة وغياب الشعور بالزمن داخل السجن النفسي الذي عبر عنه القصر المغلق

لعزلة الاجتماعية هي حالة يشعر فيها الفرد بالانفصال عن الآخرين وضعف التفاعل معهم، الأمر الذي يؤدي إلى الحرمان من الدعم الاجتماعي والعاطفي، ويولد مشاعر الوحدة والاغتراب وفقدان الانتماء.

أن الشعور بالوحدة النفسية والعزلة الاجتماعية يرتبط بظهور مشاعر الاكتئاب واليأس والاغتراب، وقد يدفع الفرد في الحالات الشديدة إلى التفكير في الانتحار أو إيذاء الذات نتيجة فقدان المساندة الاجتماعية والمعنى في الحياة[١٦].

٢.القهر الناتج عن انقلاب الأدوار الاجتماعية من سيدة الى خادمة الى جانب فقدان الاعتراف بفضلها

يُقصد بالقهر حالة من الضغط والإرغام والسيطرة التي تُفرض على الفرد بصورة تجعله يشعر بالعجز وفقدان القدرة على التحكم في مصيره أو التعبير عن إرادته. وفي المجال النفسي يُنظر إلى القهر بوصفه خبرة انفعالية مؤلمة تنشأ نتيجة التعرض المستمر للضغوط والإحباط والحرمان، الأمر الذي يولد مشاعر اليأس والاستسلام وفقدان الأمل. وقد أشارت الأدبيات النفسية إلى أن استمرار مشاعر القهر وما يرافقها من اكتئاب وعجز نفسي قد يدفع الفرد إلى التفكير بالانتحار باعتباره وسيلة للهروب من واقع يراه غير قابل للتغيير [١٧].

٣.الكبت سببه صمتها الطويل وعدم مواجهة الظلم بشكل مباشر

يُعد الكبت النفسي من المفاهيم المهمة في تفسير السلوك الإنساني، ولا سيما السلوكيات المتطرفة التي قد تنتهي بإيذاء الذات أو الانتحار. ويُعرَّف الكبت بأنه عملية نفسية لاشعورية يتم من خلالها استبعاد الرغبات والأفكار والانفعالات المؤلمة أو غير المقبولة من مجال الشعور إلى اللاشعور، مع استمرار تأثيرها في سلوك الفرد بصورة غير مباشرة. وقد أشار محمد عاطف غيث إلى أن الكبت يمثل آلية يلجأ إليها الفرد للتخلص من الضغوط والصراعات التي يعجز عن التعبير عنها بصورة مباشرة [١٨]

وعند تحليل الحكاية موضوع الدراسة، يتضح أن الشخصية الرئيسة تعرضت لضغوط اجتماعية ونفسية متراكمة حالت دون قدرتها على الإفصاح عن مشاعرها أو الاعتراض على واقعها، الأمر الذي أدى إلى تراكم مشاعر الحزن واليأس داخلها. وقد تجسد الكبت النفسي في صمت الشخصية واستسلامها للظروف المفروضة عليها، مما جعل الصراع الداخلي يتفاقم تدريجياً حتى بلغ ذروته في اتخاذ قرار الانتحار. ومن هذا المنظور يمكن النظر إلى الانتحار في الحكاية بوصفه نتيجة نهائية لعجز الشخصية عن مواجهة الضغوط الاجتماعية والتنفيس عن معاناتها النفسية بوسائل أخرى أكثر إيجابية.

وبذلك تكشف الحكاية عن الدور الذي يمكن أن يؤديه الكبت النفسي في تحويل المعاناة الداخلية إلى سلوك مأساوي، كما تعكس أثر القيود الاجتماعية والثقافية في الحد من قدرة الأفراد على التعبير عن مشكلاتهم وطلب الدعم والمساندة.

وهذه العوامل الثلاثة تُعد من أهم مسببات النزعات الانتحارية في التحليل النفسي.

رابعًا: الذروة الدرامية عندما تروي الفتاة معاناتها للعبة: لحظة الانفجارأو ماتسمى (التفريغ الانفعالي) محدث حالة من تفريغ نفسي كامل ليصل التوتر إلى أقصاه من ثم تنفجر اللعبة (اداة ورمز الانتحار) . لكن الحكاية تتدخل لتمنع الموت: ينقذها سيد القصر في اللحظة الأخيرة وهنا نلاحظ: الحكاية الشعبية ترفض الانتحار فعليًا لكنها تسمح بتصويره.

يُقصد بالتفريغ الانفعالي عملية التعبير أو إخراج المشاعر والانفعالات المكبوتة مثل الغضب والحزن والقلق، والتي تراكمت داخل الفرد نتيجة ضغوط أو مواقف صادمة، وذلك بهدف تخفيف التوتر النفسي وإعادة التوازن الانفعالي. وعندما لا يتمكن الفرد من التفريغ السليم لانفعالاته، فإن هذه المشاعر قد تتراكم لتتحول إلى ضغط نفسي شديد قد يظهر في صورة سلوكيات اندفاعية أو عدوانية، وقد يصل في الحالات القصوى إلى التفكير في إيذاء الذات أو الانتحار [١٩]

خامسًا: البعد الأخلاقي والاجتماعي : الحكاية تحمل رسالة واضحة متمثلة بإدانة الكبت وتعلن بأن الصبر المفرط يؤدي إلى الهلاك كما وتدين الحكاية حالة الخيانة التي عبرت عنها وجسدت

دورها الفتاة الشوهاء من خلال نقضها القيم الأخلاقية لانتهياربفعلتها العدالة الاجتماعية، ولكن الحكاية الشعبية تقدم درسا وعبرة من خلال تدخلها في إعادة التوازن من خلال إنقاذ البطلة ومعاقبة الخائنة لتستعيد بذلك النظام الأخلاقي . برغم من حالة القلق التي عكستها الحكاية الشعبية لكنها لا تشرعن الموت ، تقدم حلًا إصلاحيًا بدل النهاية التراجيدية أي أن الانتحار يظهر كـ "خطر" وليس "حلًا".

وبذلك فإن هذه الحكاية تقدم نموذجًا واضحًا بأن الانتحار في التراث الشعبي ليس دائمًا فعلًا مباشرًا بل يظهر عبر الكبت والصبر المفرط والرغبة في الانفجار وتختزل الحكاية فكرتها في رمز بليغ: "لعبة الصبر" التي عبرت عن طبيعة النفس البشرية حين تُحمَّل فوق طاقتها

الخاتمة

تكشف حكاية "لعبة الصبر" عن تمثيل عميق ومعقد لفكرة الانتحار في الحكايات الشعبية الموصلية، حيث يتحول الصبر من فضيلة إلى عبء نفسي يقود إلى الانفجار. وتُجسّد "لعبة الصبر" هذا التحول بوصفها رمزًا للذات الإنسانية حين تُثقل بالألم المكبوت، فتقترب من الفناء دون أن تسقط فيه فعليًا. وفي النهاية، تتدخل البنية السردية لإنقاذ البطلة، مما يعكس موقفًا ثقافيًا يقرّ بمعاناة الإنسان، لكنه يرفض أن يكون الانتحار حلًا لها، مؤكدًا بذلك قيمة الحياة وإمكانية استعادة التوازن الأخلاقي والاجتماعي

ويمكن القول إن دراسة مثل هذه النماذج تفتح المجال لفهم أوسع للتراث الشعبي، ليس فقط بوصفه مادة ثقافية، بل كأداة لتحليل النفس والمجتمع.

أولاً: النتائج :

١-يخلص هذا البحث إلى أن الحكايات الشعبية الموصلية تُقدّم معالجة عميقة لظاهرة الانتحار، من خلال ربطها بالسياقات النفسية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها الفرد.

٢-وقد أظهرت حكاية "لعبة الصبر" أن الانتحار لا يُصوَّر كفعل فردي بسيط، بل كنتاج لمعاناة مركبة تتطلب فهمًا أعمق.

٣-كما بيّنت الدراسة أن هذه الحكايات تؤدي دورًا توجيهيًا، إذ تسعى إلى ترسيخ قيم مثل الصبر والتحمل، والتحذير من مخاطر اليأس.

٤- الحكاية الشعبية لا تكتفي بسرد الأحداث، بل تسهم في بناء وعي جمعي يحدد المواقف من القضايا الإنسانية الحساسة.

٥-أن الانتحار في الحكايات الشعبية يُستخدم كرمز للتعبير عن اليأس أو الاحتجاج أو التضحية.

٦-وجود ارتباط بين تصوير الانتحار والقيم الاجتماعية السائدة مثل الشرف، الحب، أو الظلم.

٧-أن الحكايات تعكس صراعات نفسية واجتماعية عميقة داخل المجتمع.

٨-اختلاف طريقة تصوير الانتحار بحسب نوع الحكاية (أسطورية، واقعية، رومانسية).

ثانياً: التوصيات

بناءً على النتائج، يمكن تقديم التوصيات التالية:

١-تشجيع الدراسات المتخصصة في الأدب الشعبي الموصلي، مع التركيز على القضايا النفسية والاجتماعية التي تعكسها الحكايات الشعبية.

٢-الاهتمام بتوثيق الحكايات الشعبية الموصلية وحفظها من الاندثار، لما تحمله من دلالات ثقافية وإنسانية عميقة.

٣-توظيف الحكايات الشعبية في التوعية المجتمعية، خاصة فيما يتعلق بقضايا مثل اليأس والانتحار، عبر إبراز قيم الصبر والأمل.

٤-تعزيز التكامل بين الأدب وعلم النفس في الدراسات الأكاديمية، لفهم أعمق للسلوك الإنساني في السياق الثقافي.

٥-إدخال نماذج من الحكايات الشعبية في المناهج التعليمية، لما لها من دور في ترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية.

ثالثاً: المقترحات

يقترح البحث ما يلي:

١-إجراء دراسة مقارنة بين الحكايات الشعبية في الموصل ومدن عراقية وعربية أخرى

٢-دراسة موضوعات قريبة مثل الموت، التضحية، أو الحزن في التراث الشعبي.

٣-توظيف مناهج حديثة مثل التحليل السيميائي في تحليل النصوص الشعبية.

٤-الربط بين التراث الشعبي وبرامج الصحة النفسية المعاصرة.

الهوامش

[١] طلال سالم نايل ، دور الفنون التقليدية الذائعة شفاها وأثرها في إرساء قيم فاضلة ، مجلة التراث الشعبي ، العدد الثاني ، السنة الثامنة ، ١٩٧٧، ص٨٩.

[٢] ابن منظور ، جمال الدين بن محمد ، لسان العرب ، ج٨، المؤسسة المصرية العامة ، مصر ، ب.ت، ص٢٠٧.

[٣] فوزي العنتيل ، الفولكلور ماهو ؟، دار المعارف بمصر – القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص١٦.

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ١١

[٤] عمر محمد الطالب ، أثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية ، الكتاب (٢) ، الموسوعة الصغيرة ٨٦، دار الجاحظ للنشر ، بغداد ، ١٩٨١، ص٣.

[٥] نبيلة ابراهيم ، اشكال التعبير في الادب الشعبي ، دار النهضة ، مصر ، ب.ت، ص١٠٦.

[٦] عمر محمد الطالب ، مصدر سابق ، ص٣.

[٧] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤،ط٣، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٣، ص٧٥٨.

[٨] الغيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج٢،ط٨، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٥، ص١٢٤.

[٩] جوردون مارشال ، موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة : محمد الجوهري وآخرون، المجلد الثاني ، ط٢، المجلس الاعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة ، ٢٠٠٧، ص١٩٣.

[١٠] احسان محمد الحسن ، موسوعة علم الاجتماع ، ط١، الدار البيضاء للموسوعات، بيروت – لبنان ، ١٩٩٩، ص ٧٤

[١١] المصدر نفسه، ص٧٥.

[١٢] جوردون مارشال ، موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة : محمد الجوهري وآخرون،مصدر سابق ، ص١٩٣.

[١٣] ينظر: ر.بودون بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ط٢،المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧، ٦١-٦٥.

[١٤] احسان محمد الحسن ، موسوعة علم الاجتماع ، ط١، الدار البيضاء للموسوعات، بيروت – لبنان ، ١٩٩٩،ص٧٥-ء٨٠

[١٥] د. عمر محمد الطالب ، حكايات شعبية لعبة الصبر ، مجلة التراث الشعبي ، العدد ٨ ، السنة العاشرة ، ١٩٧٩ ، ص١٨٥ – ١٨٨ .

[١٦] حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي،ط٤، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥، ص ٤٨٩-٤٩١

[١٧] ينظر: مصطفى حجازي ، التخلف الاجتماعي : مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان ، ط٩، ص٢١ -٢٦.

[١٨] فرج عبدالقادر طه وآخرون ، معجم علم النفس والتحليل النفسي، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٩٨٩، ص٣٩١.

[١٩] حامد عبد السلام زهران ، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ط٤، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٤١٥